

العراق.. آه لو كان صينيا واحد بين المتظاهرين!

هيفاء زينة



الأربعاء 30 سبتمبر 2015 01:09 م

لم يترك المتظاهرون العراقيون طريقا سلميا إلا وسلكوه، للمطالبة بالاصلاح ووضع حد لجرثومة الفساد التي التهمت الاخضر واليابس في البلاد. خرجوا بالآلاف إلى شوارع وساحات المدن ليواصلوا احتجاجاتهم التي أستهلكت، في 2003، وبعد تنصيب حكومة تمارس اهانة المواطن وسلبه كرامته لصالح المحتل الأمريكي والبريطاني بداية، وبمعوية المحتل الإيراني لاحقا.

كان رد الحكومة «حزمة» وعود جوفاء وخطب لم تعد تقنع أحدا. وكلما ازداد اصرار المتظاهرين على مطالبهم، تمسك السياسة بكراسيهم، ورؤساء الاحزاب برطانتهم، وقادة المليشيات بوحشيتهم. في عراق، ارادوه بلا دولة وبلا مؤسسات، صارت الكلمة العليا للمليشيات ومرترقة مشرعة باسم حكومة شعارها «يا ثارات الحسين» من جهة ومنظمة إرهابية تريد بناء دولة «خلافة إسلامية» من جهة ثانية.

كلاهما يتفنن بإرهاب المواطنين. وكلما برزت إلى الوجود اصوات تريد استعادة البلاد من السراق، لبناء ما يطمح اليه المواطن من تعليم وخدمات ومستقبل كريم، يهاجمها قطيع ضباع يستبسل دفاعا عن مصالحه ومصالح من يمثله.

منذ ثمانية أسابيع، والضباع تترصد بالمتظاهرين الذين تبنوا مطالب مظاهرة المدينة الأولى في البصرة بعد أن سقط فيها صريعا الشاب منظر الحلبي في منتصف شهر ويوليو/تموز الماضي. جعلوا الوصول إلى اماكن التجمع شبه مستحيلة بحجة حماية المتظاهرين.

هاجموا المعتصمين في المدن. اعتدوا عليهم بالضرب والسب والشتم بمدينة البصرة، مثلا، ثم حطموا خيم الاعتصام. اعتقلوا عددا من قادة التظاهرات، اختطفوا وعذبوا واغتالوا آخرين. اغتالوا اثنين من منظمي التظاهرات في البصرة وذي قار، جنوب العراق، هما مسلم هيثم الركابي ووليد سعيد الطائي، برصاص مجهولين، فيما توفي الشيخ صباح الكرموشي، وهو من أبرز منظمي الاعتصامات بمحافظة البصرة، متأثرا بجراحه جراء تفجير عبوة وضعت داخل سيارته.

وإذا كان العالم، المتأهب دوما للغزو بحجة التدخل «الإنساني»، قد صمت على الانتهاكات الصارخة بحق المتظاهرين في السنوات الماضية، بعد ان نجحت الحكومة بتسويق التظاهرات بأنها طائفية إرهابية تهدد أمن المنطقة والعالم، فإن الصمت لا يزال مدويا، يحيط التظاهرات الحالية، على الرغم من فشل الحكومة، في نعتها بالطائفية الإرهابية، كالسابق، خاصة بعد ان أبدت المرجعية الشيعية رضاها، مما اوقع الحكومة في مأزق لا ينفذها منه غير اتهام المرجعية نفسها بالطائفية الإرهابية!

بجانب صمت الدول والعديد من المنظمات الدولية، هناك الصمت الإعلامي الدولي الذي طالما سمعناه، مطبلا ومزمرا للدفاع عن حقوق الانسان، ومن عاش، مثلي، في الغرب، يتذكر جيدا انتقائية اجهزة الإعلام في تحشيد الرأي العام مع شن الحرب على العراق «لانقاذ العالم من اسلحة الدمار الشامل، وتطبيق حقوق الانسان».

أكثر اجهزة الإعلام صمتا، في بريطانيا، حاليا، هو ذاته الذي كان أكثرها صخبا وتغطية لانتهاكات حقوق الانسان قبل الغزو، أعني جهاز البي بي سي الإذاعي والتلفزيوني.

انتقائية الجهاز الإعلامي، الموصوف بالموضوعية، وبأنه المقياس الذي يتطلع اليه الكثيرون لحاكااته، لا تفتأ تصدنا، كما افعال البرابرة، على الرغم من توقعنا اياها. ففي الوقت الذي تهاجم فيه اذاعة البي بي سي الحكومة الصينية، في نشرت الاخبار، وعبر لقاءات مع ممثلي منظمات حقوق الانسان، وأكاديميين و«خبراء» بالشأن الصيني، لاعتقالها، مثلا، كاتبها صينيا ومحاكمته وإصدار الحكم عليه علنيا، بشكل يغرس في ذهن المواطن البريطاني صورة حكومة قمعية لا هم لها غير تحويل سكان الصين البالغ عددهم ما يزيد على المليار مواطن صيني إلى سجناء رأي يعذبون ليلا ونهارا، نراهم يتعامون تعاميا مطلقا ازاء جرائم النظام العراقي الذي نصبوه، الذي وصفه هانز فون سبونيك، نائب الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة السابق بالعراق، بأنه «لم يبق بند من بنود حقوق الانسان لم ينتهكه».

هذا لا يعني اني مع الحكومة الصينية في اعتقالها الكتاب او نشطاء حقوق الانسان، بل بالعكس، ما نصبو اليه ان تكون التغطية الإعلامية متوازنة ازاء أي انتهاك ضد أي شعب كان.

هناك، طبعاً، عدد من المنظمات الحقوقية الدولية، التي تحاول اداء عملها، بعيداً عن المصالح السياسية وتمثيل الجهات الداعمة مادياً (وهو بلاء شائع بين منظمات المجتمع المدني)، من بينها «مركز جنيف الدولي للعدالة» الذي أطلق نداءً، طالب فيه الأمم المتحدة بالضغط على السلطات العراقية لإطلاق سراح الناشط جلال تركي الشحماني الذي اختطف مع شخصين آخرين في بغداد، يوم 23/29/2015، من قبل مجموعة ترتدي ملابس الميليشيات اقتادته إلى جهة غير معلومة بعد ان قامت بإطلاق عيارات نارية في الهواء لخلق حالة من الرعب في المنطقة.

وسبقه اختطاف الناشط علي هاشم مع ضرغام محسن وعماد طه. ولم يرهب الاختطاف والتعذيب علي هاشم بل اصر على مواصلة التظاهر بعد اطلاق سراحه.

وعثر على جثة الناشط حيدر غازي الربيعي (35 عاماً) ملفوفة بكيس ومربوطة بحبل بعد اطلاق النار عليه في محافظة ذي قار.

المعروف انه نادراً ما يتم التحقيق في الجرائم المرتكبة ضد المواطنين، خاصة جرائم الاختطاف والاعتقال، وقلما يجد المواطن من يدافع عن حقوقه مع استشراف الفساد في الجهاز القضائي وبعد أن انشأت الحكومة هيئة «الحشد الشعبي»، الذي بات أعلى سلطة وتحكماً بحياة الناس من الجيش وبقية الأجهزة الأمنية على مساوئها جميعاً.

عبر المنسق العام لمجلس حقوق الإنسان ضمن اعمال دورته الأخيرة عن قلقه من انتهاكات حقوق الانسان وركز المتحدثون على إرهاب داعش، بينما اعتبر المتظاهرون فساد الحكومة مساوياً للإرهاب، مما يجعل «قلق» المنسق درعا يحمي المجلس من المسؤولية الدولية، كما يجعل ذريعة التحالف الروسي الإيراني السوري مع الحكومة العراقية، لحاربة داعش وتغطية عار الحكومة في تنفيذ الوعود، كارثة أخرى تساوي كارثة الاحتلال الأمريكي بحجة تحرير العراقيين.

* د. هيفاء زنتلانة - كاتبة من العراق.

